ما كان من صنع ادوات الترحل والسفر وادوات الحرب والقتال وحتى هذه كانوا يستوردونها من البلاد المجاورة اذ كانوا يشاركون في رحلة الشتاء والصيف الى اليمن والشام ويقيمون الاسواق للمبادلة والتجارة في مكة وما حولها والمدينة وما جاورها وكان البيت العتيق الذي جعله الله للعرب مثابة وامنا فاطعمهم من جوع وآمنهم من خوف اثر في تنظيم مكانة ام القرى . هذا المركز التجاري الهام لمكة المكرمة جعل من فيها من العرب من قريش واحلافها سادة الجزيرة وامراء الجيوش في الحروب واصحاب الحل والربط بين القبائل الاخرى واهل الفصاحة والبيان فكثر فيهم الخطباء والشعراء وازدانت اسواقهم بالمناظرات والندوات الادبية الى جانب البحث في الشؤون الاجتماعية والسياسية التي تنظم حياتهم القبلية على نطاق محدود .

لم يند من بلاد العرب عن جهالة المدينة المعاصرة لهم الا بعض اطراف الجزيرة في اليمن وما جاورها وبلاد الشام وارض الحيرة مما جعل هذه المناطق طعمة للغازين بسبب ازدهار الحياة فيها ولطافة الطبيعة نسبيا ووفرة الانهار والامطار فاقاموا السدود وبنوا المدن والحصون وزرعوا الارض وصنعوا ما هم بحاجة الى صنعه والى بيعه في بعض الاحيان الى البلاد الاخرى . وكانت هذه المناطق العامرة الخصبة مادة جذب للديانات الاخرى من وثنية معقدة كالمجوسية في شرق العراق واليهودية في اليمن والنصرانية في نجران وبلاد الشام وبعض انحاء العراق الشمالية فلما جاء الاسلام وجد العرب فيه ضالتهم والفوه منسجما مع بعض طباعهم اذ دعاهم الى حرية الفرد من تسلط الكبراء وحرية الكبراء وحرية الفكر من تفاهة الوثنية وتعقيدات الشرك والى كرامة الانسان باتصاله مباشرة بالواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا احد . علمهم الاباء والشمم وامرهم برد العدوان على من اعتدى عليهم والاستعداد لارهاب عدو الله وعدوهم . ومنعهم من العدوان لان الله لا يحب المعتدين ، وازال العصبية الجاهلية العمياء وجعل اكرمهم عند الله اتقاهم وساوى بين الناس من كل جنس وامرهم بالتعارف والتعايش السلمي وقال لهم : « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » . وكان خطابه للناس كافة وليس للمؤمنين وحدهم او العرب وحدهم بل كانت دعوته انسانية الا اذا حدث عدوان على حدود الله او عباده. امرهم باقامة العدل ولو كان على انفسهم ومنعهم ان يظلموا بسبب شنآن بينهم وبين غيرهم وقال لهم : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا ، اعدلوا هو اقرب للتقوى ». حضهم على طلب العلم لمعرفة آلاء الله و آياته وللاستفادة مما خلق لهم وحثهم على السعي لطلب الرزق وجعل الاجر على قدر المشقة وقال لهم : « وان ليس للانسان الا ما سعى ، وان سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاوفى » .

وقد منح الله العرب شرفا ان النبي الكريم منهم والقرءان العظيم جاء بلغتهم وانه ذكرهم فيه كثيرا لعلهم يعقلون قيمة هذا الشرف « انا انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم » . وفي هذا تخليد لامة العرب بان حفظ لها لغتها بحفظ القرءان : « انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون » . وحفظ لها تاريخها ومجدها ان كان بناة الاسلام الاولون من العرب ومن صحابة وعشيرة رسول الله عليه الصلاة والسلام لا لانهم كذلك بل لانهم شعروا بالمسؤولية اكثر من غيرهم وتحملوها كاملة حتى ان ابا بكر حارب المرتدين لامتناعهم عن دفع الزكاة ولم يرض ان يستأهل في منع عناق كانوا يؤدونه الى رسول الله ولو نطقوا بالشهادتين وسير جيش اسامة لحرب الروم ولم يتردد في ارساله رغم حرج الموقف وصعوبة الظروف . وكانت الفتوح وكانت الانتصارات وعلت راية الاسلام يرفعها ابناؤه البهاليل من العرب الاولين فرفع الله شانهم واعلى منزلتهم وصار التقرب الى حكامهم قربى من الله لانهم حملة رسالته وحماة دينه وكانوا سببا في ان يدخل الناس في دين الله افواجا وهذه حقيقة تاريخية لا تعصب عنصري او حجة لاقرار نظرية عرقية لم يدع اليها الاسلام ابدا .

حفظ الله اللغة العربية بالقرآن الكريم :

قرر اكثر علماء الاجتماع وكبار المفكرين في القضايا التاريخية والسياسية ان اللغة اهم عنصر من عناصر تكوين الامة فهي التي تنقل الافكار بايسر وسيلة الى ابنائها وهي التي تخط طريقة التفكير وتساعد على توحيد الآراء وتجانس الانطباعات وهي التي تعبر عن روح الافراد والجماعات .

وان حركات التحرير من السيطرة الاجنبية تبتديء باحياء اللغة والتغني بأجمل ما انتجه شعراؤها وخطباؤها في قصائد وخطب ثم السير على نهجهم وتقليدهم في الاسلوب والموضوع :

ما اوانا نقول الا معادا

او معادا من قولنا مكرورا

وعندما تقوى الامة وتنتصر ستنشر لغتها لا بالقوة بل بطبيعة ما تستوجبه السلطة من وجود رجال يحكمون ومشرعين يشرعون وقضاة يقيمون العدل وتجار يتقربون من الحكام لرواج تجارتهم ورجال صناعة وزراعة يحتاجون لحماية السلطة الحاكمة لازدهار اعمالهم ، كل هذا يستوجب انتشار لغة الحكام الجدد ناهيك من التسابق الى الدخول في الدين الجديد رغبة في الخير او رهبة من الله وما يترتب على بقائهم في الشرك والكفر من عقابهم في الدنيا والآخرة او على الاقل تقربا من الحكام ومشاركة في السلطة على اختلاف وجوهها .

بدهي ، كل هذا حدث للغة العربية عندما نقلها الاسلام الى ارجاء الدنيا مع الفاتحين والى افكار المفكرين لكثير من اهل الارض ولو بقوا على دين ءابائهم واجدادهم فاصبحت واسطة التفاهم بين العديد من العلماء والفلاسفة كما هو الحال بالنسبة للغات الحية الحديثة في العالم المعاصر . ومن اجل فهم القرءان الكريم وضع ابو الاسود الدؤلي في عهد الامام علي قواعد النحو وذلك عندما كثر اللحن في الكلام وتداخلت اللغات الاعجمية من فارسية ورومية في اللغة العربية بسبب الاختلاط بعد انتشار الاسلام ، ومن اجل القرءان الكريم وضعت علوم اللغة من بلاغة وبيان وبديع وجمعت اوزان الشعر في العروض وتقرب المختصون في تفسير القرءان وجمع الحديث الى الله بالتعمق في فهم اللغة العربية واسرارها وبيان اعجاز القرءان وفصاحته ولولا ذلك لتغيرت اللغة العربية وانقسمت الى لهجات واصبحت لغات شتى كما حدث للغة اللاتينية التي نشأت عنها الفرنسية والايطالية والاسبانية والبرتغالية والرومانية وغيرها . فالاسلام الذي اوجب الصلاة والدعاء والاذان باللغة العربية واوجب تلاوة القرءان وفهمه ، حض المسلمين ان يسارعوا الى فهم اللغة العربية ولو كان المسلم من غير العرب .

... اما العرب انفسهم الذين انتقلوا مع الدين الجديد الى انحاء بعيدة في ءاسية وافريقية واوربة فقد نشروا لغتهم وكتبوا بها ووصفوا اسس حضارة اسلامية عريقة واحتراما لدينهم لم يتهاونوا في لغتهم ولم يفسدوها بالتحريف والرطانة بل بقوا محافظين عليها متمسكين بها رغم المحن التي اصابتهم على مر العصور ورغم تسلط الاعاجم من مسلمين وغيرهم على بلادهم واكبر مثال على ذلك في التاريخ المعاصر الثورة الجزائرية عام 1954 م التي انتهت الى النصر المبين فقد كانت المعارك الحربية تسير فيها جنبا الى جنب مع معركة احياء اللغة العربية والتعريب ولولا الاسلام لكانت اللغة العربية قد زالت بطغيان الفرنسية وجدير بالذكر فضل رجال الدين المخلصين في بلاد المغرب العربي الذين تحصنوا بالمساجد وعلموا القرءان الكريم ونشروا اللغة العربية وفضل جامعة القرويين في «فاس» وجامع الزيتونة في «تونس» ومساجد الجزائر وجهار جمعية العلماء فيها . وفي المشرق العربي كان حكم المماليك والعثمانيين الطويل كفيلا باندثار اللغة العربية لولا الاسلام والقرءان ولولا النور الذي كان يشع من المساجد والمآذن ويدعو الى الله باللغة العربية .

خلدت الحضارة الاسلامية اللغة العربية وجعلت العروبة والاسلام صنوان تسقى بماء واحد وقد كانت العربية قبل الاسلام لغة الحضارة البدائية بسيطة سهلة تتناول مستلزمات الحياة البدوية في البادية من تنقل وترحل ورعي للابل والغنم وركوب الخيل وغزوات وحروب وفروسية وحض على القتال والثار وتفاخر بالعصبية وتكاثر بالاموال والاولاد ومباهاة بالكرم والمروءة والنجدة ومعرفة بالانساب واقتفاء الاثر وتطلع الى الانواء الجوية وتوقع لتقلباتها من رياح ومطروحر وفر واحاديث تروى فيالليالي الطويلةفي الشتاء والليالي المقمرة في بقية الفصول ، فلكل هذه الدنيا البدوية لغة تعبر عنها وكان من ذلك ان كثرت المترادفات لكثرة القبائل وتنوعت اللهجات بسبب بعد المسافات والحياة المغلقة التي تعيشها كل عشيرة على شكل وحدة متنقلة .

اما في الحواضر والمدن فكانت اللغة ارقى بسبب تعقد الحياة بعض الشيء وما تستلزمه ظروف الاستقرار من عمران وتنظيم للحياة الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية اذ كانت ادارة القبائل فيها منظمة بعض الشيء فكانت الاحلاف وحقوق الجوار وتنظيم مواسم الأسواق للتبادل التجاري والندوات

للمدارسة في الشؤون العامة ومطارحة الشعر والقاء الخطب وتقدير الرجال وتكريم الشعراء وتسليم الرئاسات وما الى ذلك مما جعل اللغة العربية تتقارب لهجاتها وتتوحد مفرداتها لتكون كلمات مشتركة للحياة المشتركة وكانت لهجة قريش افصح اللهجات ولما جاء الاسلام جعلها اللغة الرسمية وصارت لغة المسلمين في انحاء الجزيرة وتلاشت تدريجيا اللهجات العربية الاخرى .

وهكذا وحد الاسلام وسيلة التفكير وتقاربت المفاهيم واساليب البحث والنقاش بل وظهرت كلمات جديدة كالصلاة والوضوء والزكاة او صار للكلمات القديمة مدلولات جديدة . ولما فرغ المسلمون من الفتح بعد العهد الاموي واتسع لهم الرزق واستقرت بهم الاوحال وانتظمت الدولة الاسلامية وصار لها دواوين وادارات وجيوش جرارة وقيادات وما يتبع ذلك من اعداد وتسليح وتموين وتدريب وانضباط وتوجيه كما اصبحت للحياة الاقتصادية قيمتها الجديدة بعد اتساع نطاق الزراعة والصناعة والتجارة وتفرع طرق المواصلات وزيادة وسائل النقل وبعد ان اصبح للبريد دوره في تنظيم المخابرات وتنفيذ الاوامر ومراقبة الحكام والموظفين كل هذا استوجب ان تتوسع اللغة العربية لتستوعب متطلبات هذه الحياة الجديدة ورغم انها استعانت باللغات الاخرى لدى المسلمين الجدد من الاعاجم الا انها نظرا لمرونتها وسهولة الاشتقاق فيها تطورت وظهرت فيها كلمات ومصطلحات جديدة اما معربة او موضوعة مما افناها ووسع افق التعبير بها .

وفي نفس الوقت اخذ عقل المسلمين يتفلسف في الدين فيثير خلافات دينية ويجتهد في كبتها والتوفيق بين مظاهرها بعد ان كانت عقيدة المسلمين في اول امرها بسيطة ساذجة لا تابه لخلاف ولا تلتفت الى بحث وفلسفة وكاد ينقضي العصر الاول في ايمان لا جدل فيه ولما هدأ الناس اخذوا ينظرون ويبحثون ويجمعون بين الاشباه ويقارنون بين المتناقضات وبخاصة لما كثرت الترجمة ودخلت الفلسفة اليونانية وعرفت المذاهب المختلفة في الديانات الاخرى من يهودية ومسيحية وزرادشتية ومانوية وصابئة ودهرية عند ذلك اخذ العلماء المسلمون يتسلحون بالحجج الدامغة والبراهين القاطعة ليدافعوا عن دينهم امام اصحاب العقائد الاخرى او امام المتشككين من الذين لم يدخل الايمان في قلوبهم او من المنافقين الذين تظاهروا بالاسلام ليكيدوا له . في هذه الفترات التي انطلق فيها عقل المسلمين في مختلف مجالات العلوم والآداب والمعرفة ازدهرت اللغة العربية ايما ازدهار واصبحت لغة الحضارة الاسلامية وصارت لغة العلم والفلسفة والادارة والاقتصاد وانتقلت مع المسلمين الى انحاء بعيدة في الصين واندونيسيا وجزر « الواق واق » في المحيط الهادي ـ ويك ـ حاليا ، وباحتكاك المسلمين مع غيرهم بواسطة التجارة والقوافل انتشر الاسلام من غير حرب ولا فتوح كما في ماليزيا والفيلبين واندونيسيا وغيرها وانتقلت اللغة العربية مع القرءان الكريم الى كل هذه الاصقاع وهي وان لم تصبح لغة الشعوب المسلمة صارت معروفة لديهم مقدسة عندهم ودخلت كثير من كلماتها في لغاتهم وصارت المصطلحات الدينية سائدة بينهم من سلام وتحية وحمد لله وشكره ودعاء وتوسل واستغفار وصار التقي الصالح المقرب الى الله هو الذي يتكلم اللغة العربية ليفهم معاني القرءان وينشر تعاليمه بين مواطنيه واصبحت الحروف العربية حروف اللغات المحلية كالفارسية والاردية مما جعل القرابة اقوى بين هذه اللغات واللغة العربية . وهكذا حفلت مكتبات البلاد الاسلامية بالكتب العربية المخطوطة او المنسوخة في بخارى وسمرقند ولاهور وشيراز ونيسابور ودلهي وعليكرة رغم ان شعوب هذه البلاد غير عربية ولكن الاسلام وحضارته التي شارك فيها المسلمون كان سببا في جعل اللغة العربية لغة الحضارة في القرون الذهبية وعهود الازدهار . حتى ان الافلاطونية والافلاطونية الحديثة والفلسفة الاغريقية بصورة عامة لم تصل مشروحة الى الغرب الا بواسطة العلماء العرب كابن رشد في المغرب والاندلس وابن سينا والفارابي في المشرق وابن الطفيل وابن خلدون وغيرهم .

اليس هذا دليلا على ان الاسلام رفع شان العربية والعرب في الحضارة العالمية لفترة طويلة من الزمن ؟ الا تدلنا آثار العرب في فرنسا واسبانيا وايطاليا وجزر البحر الابيض المتوسط على مدى ما وصل اليه العرب من عزة وفخار بفضل الاسلام ؟

حق الاسلام على كل عربي ان يفخر به :

وبعد ان المعنا في هذا الاستعراض الموجز الى ما كسبته اللغة العربية من القرآن الكريم والاسلام الحنيف ومن المسلمين الفطاحل من مفسرين

ومحدثين ولغويين وعلماء كلام وفلاسفة عظام وعلماء في مختلف العلوم الكونيـة من طب وطبيعة وكيميـاء ورياضيات وفلك وجغرافية وتاريخ وعلم اجتماع . وبعد ان اصبحت الحضارة الاسلامية عربية الشكل والقالب حتى لم يعد المحقق يفرق بين التسمية هل هي اسلامية صرف ام عربية صرف ... فهي كلتاهما معا واصبحت امهات المؤلفـات والكتـب العلميـة والفلسفية والدينية لا تكتب الا بالعربية وما تـزال الى يومنا هذا شاهد عيان على ذلك في معظم انحـاء العالم الاسلامي وفي كبريات المكتبـات العالميـة في الاسكوريال في اسبانيا وفي باريس ولندن وبرلين وموسكو واسطمبول مخطوطـات ومجلـدات لكتـب عربية اصيلة بعضها لم يشهد النور او لم تصل اليه اعمال المحققين والدارسين وذلك هذا ما في المكتبات الخاصة من ذخائر وكنوز .

وبعد ان انتشر علماء المسلميـن مـن عـرب وغيرهم في بلاد الاسلام يعلمـون النـاس القـرءان ويفسرونه وينشـرون تعاليمـه .. صـار ضروريـا على كل مسلم وحتميا ان يتعلم مباديء اللغة العربية ليزداد ايمانا وقربى الى الله .

بعد هذا كله الا يحق لكل عربـي ان يفاخـر بالاسلام الذى نصر العربية وجعلهـا لغـة الحضـارة والخلود ومكن العربي ان يتصل بكل مسلم في انحاء الارض بمجرد القـاء تحية الاسلام واقـراء السـلام وهل اكون مبالغا في النهاية اذا قلت : ان المسلم لا يحسن اسلامه اذا لم يحب العربية .. والعرب وان العربي لا تصح مروبته اذا لم يفخر بالاسلام ولو كان على غير هذا الدين .

العربية والإسلام بين الغابر والحاضر

الدكتور توفيق برو

استاذ التاريخ في كلية اللغات
(جامعة حلب)

لا يستطيع الباحث ان يدلي براي جازم في موضوع السببية بين الاسلام واللغة العربية ، بل يمكن ابداء ملاحظات منها ما هو في جانب الفكرة او ضدها .

ومما هو في جانبها :

ا ـ ان الاسلام ـ اثناء نشره ابان حركة الفتوح العربية في مختلف العصور ـ كان وسيلة احتكاك ولا شك . كان للاسلام دوره التاريخي ، ذلك ان الرغبة في نشره ، حتى يعم العالم ، كانت احد الاسباب في دفع العرب الى حركة الفتوح . وهنا تبدو الملازمة بين نشر الاسلام وانتشار اللغة العربية ، لان المسلمين الذين اخذوا على عاتقهم عبء الفتوح عرب ، دينهم عربي وقرءانهم عربي ، ورجال دولتهم عرب ، والدولة التي كونوها عربية اسلامية ، وتسنم الوظائف كان يقتضي معرفة اللغة العربية ، مما دعا الشعوب الاجنبية (الاعجمية) التي انضوت تحت الراية العربية الاسلامية الى تعلم اللغة العربية لكي يتاح لها الاسهام في خدمة الدولة . واكثر من ذلك فان الحركة العلمية التي شجعها العرب واخذوا على عاتقهم تنميتها قد اضطلع بها ـ في باديء الامر ـ الناس من اصل غير عربي اعتنقوا الاسلام وتعربوا . وهناك ايضا طقوس العبادة : فلكي يصبح الانسان مسلما صحيحا كان عليه ان يدرس القرءان ويتعلم آياته الكريمة ومختلف الادعية وسواها من العبارات الدينية التي تقال اثناء الصلاة وكلها عربية .

ب ـ مما لا شك فيه ان هناك جهودا كثيرة قد بذلت من قبل خلفاء المسلمين وقوادهم وولاتهم وتجارهم ومبشريهم في سبيل نشر الاسلام مع اتخاذ الطرق الناجعة الكفيلة باقبال الاقوام غير العربية على اعتناقه . وقد تبع ذلك حركة استعراب بين هذه الاقوام. انما لم تكن حركة الاستعراب بما يتناسب مع قوة اعتناق العقيدة الاسلامية وسعة انتشارها . ولم يكن من الضروري قط ان كل من يعتنق الاسلام يتكلم اللغة العربية بحيث يستعرب كليا او جزئيا بمعنى انه يتكلمها نوعا ما الى جانب لغته الاصلية .

الى هنا يظهر ان ثمة سببية بين الاسلام وانتشار اللغة العربية . غير ان ذلك ليس كافيا لاثبات انه لولا الاسلام لما تاتى للغة العربية ان تنتشر في العالم وانه لو لم تكن اللغة العربية لغة القرآن لما انتشر الاسلام ، للاسباب التالية :

ا ــ انتشر الاسلام اثناء حركة الفتوح على اقطار كثيرة اصبحت الآن خارج الحظيرة العربية : مثل الاندلس ، ايران ، افغانستان ، تركستان ، السند (الباكستان) . لكننا نشاهد الآن انها اصبحت بعيدة من العروبة لغة اللهم الا بقاء بعض التأثيرات اللغوية التي لا نزال نشاهدها في لغة سكانها الاصليين ، وذلك في نفس الوقت الذي بقيت فيه محافظة على اسلامها باستثناء الاندلس . والسؤال الذي يطرح في هذه المناسبة : لو ان الفتح العربي والوجود العربي بقيا مستمرين فيها الم يكن ممكنا ان تبقى عروبتها وطيدة ، وتصبح اللغة العربية لغتها الصميمة كما جرى بالنسبة للمغرب العربي ومصر وبلاد الشام والعراق ؟ ــ ليس من شك في ذلك اذن . الا نستطيع ان نستنتج من ذلك ان بقاء سلطان العرب بما يتبعه من حركات استيطان للقبائل العربية في هذه الربوع هو الكفيل بدوام عروبة هذه الاقطار ؟

ب ــ سؤال آخر : لو ان الاسلام لم يكن بين الحوافز الاخرى التي دفعت العرب الى حركة الفتوح، او بتعبير آخر لو كان هناك حافز فكري آخر غير الاسلام قد رافق الاسباب التي دعت اليها ، واستقر العرب بنتيجة ذلك في الاقطار السالفة الذكر المفتوحة وغيرها ، الم يكن من الممكن ان تبقى اللغة العربية هي لغة سكانها ؟ ان الامثلة الشبيهة بذلك متوفرة بالنسبة الى الممالك الاوربية كفرنسا التي فتحها الافرنج فاصبحت الفرنجية اللغة (اي فرنسية) ، وانجلترا التي فتحها الانكلوسكسون فاصبحت لغتها انجليزية ، وامريكا الشمالية التي استوطنها الانجليز اثر حركة توسع استعماري فاصبحت لغتها انكليزية ، مع ان الداعي الى فتح هذه الممالك لم يكن هو نشر الدين .

ج ــ وهناك امثلة كثيرة اخرى في التاريخ القديم والوسيط والحديث تثبت ان انتقال قبائل برمتها ، او جزء كبير من شعب ما ، من وطنه الى وطن آخر ، وتغلب نسبته البشرية على نسبة سكان البلاد المستوطنة ، يكون عاملا من عوامل طبع المنطقة المحتلة بلغة الشعب القادم ، لاسيما اذا كانت لغته تمتاز بالاصالة والحيوية والتفوق على لغة السكان الاصليين ــ كما هو شأن اللغة العربية بالنسبة للغات المناطق التي احتلها العرب .

د ــ وقد يكون النشاط التجاري الصرف من نشر لغة القائمين به ، مثال ذلك تغلب لغة الآراميين في سوريا على لغات بلاد الشام المجاورة لها بسبب نشاط تجارتهم حتى اصبحت اللغة الآرامية لغة عامة في المراسلات التجارية وغيرها في جميع الممالك المجاورة لمملكة الآراميين في التاريخ القديم .

وهناك امثلة من الواقع العربي تثبت ان انتشار الاسلام غير كاف لوحده لانتشار اللغة العربية من ذلك :

ا ــ من الواضح ان عروبة المغرب العربي لم تكتمل ــ اثر حركة الفتوح العربية الاسلامية ، بالرغم من اعتناق معظم اهله للاسلام طول اربعة قرون تقريبا ــ الا بعد هجرة قبيلتي بني سليم وبني هلال العربيتين من المشرق العربي الى المغرب واستيطانهما ربوعه في القرن الحادي عشر الميلادي .

ب ــ ومع هذا لا نزال نشاهد في المغرب العربي هذه الظاهرة : ان العنصر البربري في شمالي افريقية العربية يكثر عدده كلما اتجهنا قربا من برقة الى مدينة مراكش وجنوبا من الساحل الى الصحراء ــ اي كلما ابتعدنا عن المراكز العربية ــ وان العنصر البربري في مراكش يبلغ قرابة ثلث السكان ، وهو يكثر عادة في الجبال ومناطق الصحراء وما يجاورها ، وهي المناطق البعيدة عن المحيط العربي الصرف ، ويقل تمييزه في المدن حيث امتزج بالسكان العرب امتزاجا تاما اقرب ما يكون الى الانصهار . فاللغة البربرية لا تزال حية ، اذ لا يزال هناك من يتكلمها لوحدها و من يتكلمها الى جانب العربية ، وربما يكون هناك من البربر نسبة تتراوح بين 10 ــ 14 ٪ تتكلم البربرية والعربية معا، ونسبة تتراوح بين 10 ــ 20 ٪ لا تتكلم سوى اللغة العربية (بناء على احصاء قديم وقد تكون النسبة اقل من ذلك الآن)

كما اننا نشاهد في الجزائر جزرا بربرية ، الا ان افرادها مزدوجو اللغة حيث يتكلمون البربرية والعربية . والذي تجدر ملاحظته أن من يسكن منهم غربي الجزائر شديدو التعرب لسهولة المواصلات مع الاماكن التي يقطنها العرب . مما يستنتج منه أن زيادة الاحتكاك بين البربر والعرب هو العامل الحاسم في تعريبهم مع انهم مسلمون منذ اكثر من ثلاثة عشر قرنا . واذا عدنا الى التاريخ نجد ان فرص

الاحتكاك بين هذين الشعبين كانت من الامور التي ساعدت على الاستعراب مثل اشتراكهم في الحملات كحملة طارق بن زياد على الاندلس وما تبعها من حملات، واستيطان العرب والبربر معا في الاندلس .

ونلاحظ الامر نفسه بالنسبة للاكراد في العراق وسورية ، حيث نجد ان سكان المدن منهم منصهرون مع العنصر العربي وتكاد لا تفرق واحدا من العنصرين عن الآخر كما هو الامر في دمشق ، بينما نرى ان سكان الجبال والقرى النائية الواقعة على الحدود التركية والايرانية لا يزالون متمسكين بلغتهم، ولا يعرف العربية الى جانبها سوى القلة المثقفة منهم مع انهم ايضا مسلمون .

* * *

اما من حيث **ان الوعي الاسلامي والوازع الديني** يقويان ويضعفان تبعا لما يعتري لغة الضاد من قوة وضعف او ان العكس بالعكس :

فاعتقادي ـ بحسب ملاحظاتي ـ ان ذلك غير وارد بتاتا ، ولا صلة سببية بين الوازع الديني ولغة الضاد .

ومن حيث المكانة التي يجب ان تحتلها اللغة العربية في بلدنا بالنسبة للغات الاجنبية ، فمما لا شك فيه ان المكانة الاولى يجب ان تحتلها اللغة العربية بالنسبة للغات الاجنبية . وان كان علينا ان نولي اهتماما باللغات الاجنبية فلاجل الاستفادة من تعلمها في اقتباس العلم والتكنيك من الغرب اي دفع طلابنا ومثقفينا الى تعلمها واتقانها ليسهل عليهم متابعة دراساتهم العلمية في بلاد الغرب والاطلاع على المراجع والمؤلفات الاجنبية بكل سهولة ، حتى نتمكن من الاستفادة والافادة .

الوعي الاسلامي يقوى

بانتشار اللغة العربية في الأقطار غير العربية

بقلم مفتشي اللغة العربية الأستاذين حسني المحتسب
وندیم عدي (سوريا)

تفضل خبيران من مركز البحوث السورية بالجواب الآتي عن استفتائنا وهما الاستاذ حقي المحتسب ونديم عدي المفتشان الاختصاصيان للغة العربية :

ان دراسة تاريخ الاديان وكيف انتشرت تدل على ان عددا كبيرا منها ـ ان لم نقل كلها ـ قد جاوز المكان الذى ظهر فيه ، وان اللغة هي العامل الاساسي فى انتشارها . ان الاديان افكار وتصورات عن الكون ومبدعه ومثل عليا اخلاقية وعبادات وانظمة اجتماعية، وهذه لا تنتشر الا بواسطة اللغة .

والاسلام قد انتشر عن طريق اللغة العربية اذ حمله العرب نحو البلاد المفتوحة . وساعدت اللغات المحلية على فهمه وايضاحه للسكان الذين لم يتعلموا العربية او لم يتقنوها . وقد تعلم كثيرون من ابناء البلاد غير العربية لغة الدين الجديد ليفهموه وليكونوا اكثر انسجاما مع الدولة العربية الاسلامية . وهناك بلاد انتشر فيها الاسلام ولم تصبح العربية لغة للسكان المحليين كاندونيسيا ، بل اصبحت العربية لغة العبادة فقط وثمة بلاد انتشر فيها الاسلام كما انتشرت العربية انتشارا محدودا ، فلما تقلص نفوذ الدولة العربية منها ضعفت اللغة العربية فيها حتى زالت او كادت مع بقاء الفاظ كثيرة من العربية شاهدة على تاثيرها فى لغة السكان المحليين كايران وافغانستان واواسط آسيا وتركيا . وهناك بلاد انتشر فيها الاسلام واللغة العربية ثم تقلص نفوذهما معا حتى زالا بسبب زوال الحكم العربي والاسلامي كبلاد الاندلس . وهناك بلاد انتشرت فيها اللغة العربية ولم ينتشر الاسلام انتشارا كاملا كلبنان فهي بلاد عربية اسلامية ومسيحية . وان لغات كثيرة قد انتشرت فى العالم من غير وساطة الدين بل بتاثير النفوذ السياسي والاقتصادي والفكري كالفرنسية والانجليزية والاسبانية والبرتغالية ، وحتى فى هذه الحالة فقد كان التبشير الديني عنصرا هاما من عناصر انتشار هذه اللغات .

بعد هذه المقدمة يمكننا ان نقول :

1 ـ كان من الممكن ان تنتشر اللغة العربية وان لم ينزل القرآن بها لو ان القوة العربية السياسية والاقتصادية وصلت الى درجة من القوة تبسط معها نفوذها على الاقطار المجاورة وتحمل اليها لغتها ونظرتها الى الحياة وهو انتشار يدوم ما دامت هذه القوة . ولما كان الدين اكثر ثباتا من القوة السياسية والاقتصادية فان اثره فى بقاء اللغة العربية او فى بقاء آثارها ادوم واثبت . ان الذين ينقلون دينهم او لغتهم الى الامم الاخرى يكونون اكثر نجاحا اذا كانوا اكثر عدلا ودرسا واخلاقا ورقيا .

2 ـ وكان من الممكن ان ينتشر الاسلام ولو انه نزل بلغة اخرى غير العربية على غرار ما حصل في الاديان الاخرى لما له من قوة ذاتية تتعلق بالمبادىء والقيم والمثل .

3 ـ لقد انتشرت العربية قبل الاسلام فجاوزت الجزيرة العربية الى سوريا والعراق بسبب انتشار السكان ونمو النفوذ السياسي للعرب في هذين القطرين الى جانب النفوذين الفارسي والبيزنطي .

4 ـ ان قوة اللغة العربية في بلد عربي عامل على قوة فهم الاسلام ولكنها لا تستدعي بالضرورة قوة الوازع الديني لان هذه القوة اللغوية العربية قد تكون من تأثير الدوافع الوطنية والقومية .

وان ضعف الوازع الديني والوعي الاسلامي لا يحول دون قوة اللغة العربية في البلد العربي .

5 ـ ان البلاد الاسلامية غير العربية يقوى عندها الوعي الاصلاحي والوازع الديني بانتشار ثقافتها العربية لان دراستها للغة العربية ناتجة عن اسباب دينية لا عن اسباب وطنية وقومية ولان فهم ابنائها للاسلام بلغته الاصلية اقوى من فهمهم اياه بلغتهم المحلية .

6 ـ ان تأثير الاسلام عن طريق لغة القرآن قوي في البلاد غير العربية . وهو يؤثر في لهجات السكان ولغاتهم المحلية . ولكنه لا يحولهم الى اللغة العربية الا اذا رافقت الدين الاسلامي هجرة عربية كبيرة تجعل اللغة العربية مسيطرة ثقافيا وعدديا ويكون الدين مثبتا لهذه السيطرة .

7 ـ ان سوريا كانت فيها لغات قديمة قبل العربية ومعها . ودخلتها لغات بعد العربية وتأثيرها في العامية واضح كما ان لها تأثيرا في اسماء الامكنة والبقاع والمهن كالسريانية والتركية والفرنسية ، بل ربما وجدنا في عاميتنا الفاظا فارسية وكردية وهي لا تشوه الطابع العربي الغالب . وان الفرنسية وغيرها من اللغات الراقية تؤثر في اسلوب الفصحى عن طريق الترجمة ودخول الالفاظ الحضارية تعريبا او ترجمة .

8 ـ ان سوريا لا تسود فيها الا العربية فصحى وعامية الى جانب لغات تتكلمها اقليات محدودة كالشركسية والكردية والسريانية والتركية والاشورية والارمنية وان العربية فصحى وعامية تؤثر في هذه الاقليات فيتعلمونها وكثيرون منهم ينسون لغتهم الاصلية ويعود ذلك الى المدارس الرسمية واشراف الدولة على التعليم والى التمازج السكاني.

9 ـ ان نشر العربية في البلاد غير العربية يسهل اذا كانت هذه البلاد تدين بالدين الاسلامي او تكتب باحرف عربية او كانت لغتها بدائية محلية .

القرآن مضموناً ولغة عامل جوهري في وحدة الفكر بين العرب والمسلمين ...

ولكن تعلم اللغات لا يزال الجسر الوحيد إلى العلم والمعرفة

الأستاذ خليل الهنداوي

حلب (سوريا)

لم يعرف دين من الاديان ذلك التلازم او الارتباط مع دين اللغة التي نزل فيها ، او عبر بها عن اغراضه ، كالاسلام .

وهو امر لا يحتاج الى المناقشة ، مادام القرءان الذي هو عمدة الاسلام ، يجعل بيانه احدى معجزاته. وهو الذي تحدى العرب ، وهم في اوج فصاحتهم المعبودة ، ان يأتوا بمثله ، او بسورة من سوره !

والبيان القرءاني تفنن في تفهمه ، وتوضيحه ، وتعليله اقطاب البلاغة في كل عصر ، وضربوا حوله دراسات متنوعة ، وآخرهم عبد الرحمان الرافعي – وهو من هو في عالم البيان – في كتابه « تاريخ آداب العرب » اذ خصص جزءا كاملا من اجزائه الثلاثة في دراسة بيان القرآن »

ولما انتشر الاسلام في ارض العرب وغير العرب ، كان القرءان مصاحبا لهذا الانتشار ، لان الاسلام ، من شعائره الاساسية ترديد آيات من القرءان في كل صلاة ، والرجوع الى القرءان في بيان الاحكام والعبادات . فهو دستور كل مسلم – عربيا كان أو اعجميا –

ولذلك كان على كل من اتخذ الاسلام دينا ان يرجع الى القرءان وان يردد بعض آياته في صلاته ، وان لم يفهمها ، وان يتفهم آيات منه للاطلاع على حقيقة الاسلام .

الاسلام نفسه مظهر من مظاهر اللغة العربية ، كما ان اللغة العربية وعاء من اوعية الاسلام ، فهما متلازمان لا ينفصلان .

ومن هنا يأتي دور حماية اللغة العربية من الاندثار ، كما اندثر الكثير من اخواتها الساميات في سالف العصور .

ومثلا على ذلك ، في حالة مد الاسلام حمل معه اللغة العربية الى الاقطار المفتوحة ، ونشرها واذاعها حتى اصبحت **اللغة الاولى فيها** . وليس التاثير الفارسي بها عنا ببعيد ، فبلاد «فارس» بلاد بعيدة كل البعد عن ان تكون قطرا من اقطار العرب ، ولكن الاسلام ادناها من العرب ، وكان من الفرس ادباء وعلماء وشعراء لا يقلون منزلة عن الادباء والعلماء والشعراء في العرب ، وذلك لان الاسلام الفهم وجمعهم على حب البيان العربي ، لانه بيان القرءان .

والفتح العربي – في حالة جزره – حين انحسر عن تلك الاقطار ابقى القرءان فيها علامة واضحة ، وان لم يبق فيها كلغة متميزة .

وفي حالة استيلاء العثمانيين على الوطن العربي، لم ينقذ اللغة العربية من الاندثار الا القرءان . لان العثمانيين كانوا مسلمين ، والمسلم لا يستطيع ان يناهض القرءان ، ما دام هو لغة دينه ! ولو ان الاحتلال كان اجنبيا ، دينه غير دين الاسلام لكان ، هنالك ، كارثة زعزعت اللغة العربية ، ولعل في قوله تعالى ابلغ معجزة : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

وما دام الامر كذلك بالنسبة الى الاعاجم فانه سيكون اشد وقعا بالنسبة الى الاقطار العربية التي تتكلم اللغة العربية ، فهذه الاقطار – برغم وقوعها

تحت الحكم غير العربي ـ بقي وعيها الاسلامي ، ووازعها الديني يربطانها باللغة العربية . وكثيرا ما تقلصت اللغة العربية في بعض المجالات ، كالدواوين والمدارس التي جعلت اللغة التركية اللغة الاولى، الا انها ثبتت كلغة للتعبير ، وظل القرءان النفحة (او القرار) الذي يتردد كل يوم في الجوامع والبيوت ، وفي كل مكان ، مما جعل العرب يرتبطون بلغتهم ارتباطا دينيا مقدسا .

وغداة الوعي القومي الذي انتشر ، وذيوع التعليم عادت اللغة العربية الى وجودها المستقل وشخصيتها المتميزة .

اما مدى تاثير الفكر الاسلامي ، عن طريق لغة القرءان ، في الاقطار الاسلامية غير العربية ، فهو ظاهر في صلب هذه اللغات نفسها، وفي شكل حروفها التي لا تختلف عن الحروف العربية . حتى دخل في فنونها، ورسم خطوطها، فقيل « الخط الفارسي ، والخط العثماني او الخط الرقعي ، كما قيل الخط الكوفي » ، وقد تجردت اللغة التركية على الحرف العربي لعوامل سياسية .

اوليس ، بعد ذلك ، من معجزة اللغة العربية ان الجاليات الاسلامية ، في الاقطار الغربية، او الاسيوية، او الافريقية ابقت نفس اللغة ؟ وقد تختلف اللهجات الدارجة ، ولكن لا يختلف سواء التعبير الفصيح ، لان **القرءان هو الذي جمعها على وحدة التعبير ، والكتابة بالفصحى التي هي لغة القرءان ؟**

وما ذلك الا لان القرءان يوحد بينها ، ويجمع بينها . فالشاعر العربي ـ في كل قطر ـ يتخذ لنفسه الشكل العربي التقليدي نفسه ، والكاتب يكتب لكل من يقرأ العربية بلغة القرءان نفسها .

اما بقية اللهجات واللغات الاقليمية فامر انتشارها يعود الى زمان انقطعت فيه اواصر الاجتماع، وجفت موارد اللغة ، ونشت الاعجمية : حتى بات لكل قطر لهجة ، ولكل ثوب رقعة ! وقد تتقارب هذه اللهجات ، وقد تتباعد عن الاصل بحسب مواضعها ومواقعها من الكلام .

ولكن هذه اللهجات صائرة حتما الى ان تنصهر وتتهذب وتنقى بفضل التعلم والوعي ، حتى تعود الى المصدر الذي انفصلت عنه . والشاهد على ذلك هذه الصحف والمجلات والاذاعات التي لا تحيد عن الفصحى .. ولن يكون ذلك اليوم الذي تتوحد فيه ببعيد !

اما بالنسبة الى اللهجة الاقليمية عندنا ـ في سورية ـ فهي من اللهجات التي يقل فيها البعد عن جوهر اللغة الاصيلة باعتبار موقعها الوسيط بين الاقطار العربية . وما دخلها من حوشي الالفاظ ، والتواء التعابير انما يعود الى العهود المالكة التي امتزجت فيها الاجنبية بالعربية ، نتيجة لضياع حريتها ، وان لم تضع شخصيتها !

والآن، كيف يمكن ان نحدد المكانة التي يجب ان تحتلها العربية بالنسبة للغات الاجنبية ؟

لا تعصب اذا قلنا « العربية اولا ، ثم اللغات الاجنبية ثانيا » .

واذا قدر لاسلافنا ان يطلعوا اطلاعا ضيقا على **تراث الثقافات الاجنبية في عهودهم بواسطة الترجمة والنقل ، فان تبدل الحياة وتطور العالم ، وتقدم العلم الذي لا وطن له يدعونا الى عدم الاكتفاء بالعربية وحدها،** ولنا اسوة في غيرنا الذين يتقنون على الاقل لغة اجنبية بجانب لغتهم ، وهم اقل حاجة اليها منا .

بينما نحن نحتاج الى اللغات الاجنبية ، وسنظل نحتاج اليها زمنا طويلا ، لانها الآن تحمل عنوان الثقافة ، ولا تزال هي الجسر الوحيد الى المعرفة ، وتطور العصر .

والذين يقولون بالاكتفاء باللغة العربية لاي سبب كان انما يدعوننا الى عزلة ثقافية عن العالم . والعزلة الثقافية في حياة شعب انما هي دفنه عن ركب الحضارة ، حتى يتفتت ، ويذوب كيانه ، ويتلاشى في مهب الثقافات .

اننا لا نزال في دور التكوين : ودور التكوين يتميز بالاقتباس . وحين سنجد انفسنا وياتي دورنا في المشاركة في الابداع الحضاري ، تعود لغتنا الى احتلال المكانة المرموقة بين لغات العالم . واللغة والثقافة اليوم هما توأمان لا ينفصلان .

اللغة العربية وأثر القرآن في تطورها

الأستاذ الفاروقي الكرمالي

عميد كلية اللغة العربية
(جامعة القرويين)

تقرر علماء اللغة والاجتماع قديما وحديثا – ان القصد من وجود اللغة هو التعبير عما يختلج في الضمير من المعاني والاغراض – وان اقرب طريق وايسر وسيلة الى ذلك هو الالفاظ والاصوات التي لا تكاد تتفاوت في الوصول الى هذه الغاية وان كانت تختلف في ايفائها حقها اختلافا كثيرا – وان الوضع اللغوي كان من لطف الله بعباده ليتسنى لهم التفاهم والتعاون لان الانسان لا يمكنه ان يستقل بحياته ولا ان يعيش بانفراده كما ان ذلك اوفق لغرض الدال اذا كان لا يريد اطلاع غير المخاطب على مدلولها ، حيث انها توجد عند الحاجة وتنقضي بانقضائها – وان معاني الحياة اكثر من ان يعبر عنها فلكل لفظ معنى وليس لكل معنى لفظ .

واللغة العربية من بين اخواتها اللغات السامية حباها الله عذوبة اللفظ وجمال الاسلوب وغزارة المادة وامدها بقوة الدفاع عن حياتها واستقلالها لما تتوفر عليه من عوامل التطور وعناصر البقاء ، وهي ككائن من الكائنات الحية ، وكمظهر من مظاهر السلوك ، وكظاهرة من ظواهر النشاط تخضع الى سنة التطور وعوامل الزمان والمكان فتتأثر بذلك على حسب المستوى الثقافي والحضاري للامة – وتتطور اما الى الحياة واما الى الممات ، واما الى ما بينهما – والبحث عن حياتها او موتها او فتورها كالبحث عن عوارض الكائنات كلها – يرجع الى الكشف عن مقوماتها ، وطوارئها ، ومدى استعدادها لما يطلب منها .

ثم ان عناصر حياة اللغة تتكون من عدة اصول :

1) الاشتقاق والقياس.
2) وقابلية التطور وصلاحية الاداء.
3) ومرونة الاسلوب وحلاوة المنطق.
4) ووفرة المادة ونماء الثروة.
5) وفصاحة اللفظ وبلاغة الكلام.

اما الاصل الاول فهو في اللغة العربية اجلى مظاهرها ، وسر من اسرار تفوقها وبه كانت احق واجدر بالحياة والبقاء فباب الاشتقاق والقياس واسع في هذه اللغة لا يضيق مهما اتسع مجال العقل وخياله ومثال لذلك المصدر والصفة فلهما في اللغة العربية العدد العديد من الصيغ والابنية واذا لاحظنا ذلك في

الافعال ومزيداتها تصاعدت الصور القياسية الى حد لا نظير له في اللغات الاخرى فالقياس والاشتقاق يجعلان اللغة العربية غنية ثرية ، ويفتحان الباب على مصراعيه امام الكتاب والشعراء لتسجيل افكارهم وابراز مواهبهم واذا تجلت قيمة هذا الاصل الى هذا الحد لم يبق شك في فضل براعتها ونمو حركتها، واما الاصل الثاني وهو قبول اللغة للتطور وصلاحيتها للاداء فهو في اللغة العربية بمكان لا يستطيع انكاره .

كانت تستعمل في اغراض بسيطة مثل التخاطب والعواطف ، والشارات والمواقف وشبه ذلك مما يتناسب وحياة البداوة وقامت بما طلب منها في هذا الشان خير قيام وبعد ما خفقت راية الاسلام وثبتت حجته اصبحت اللغة لغة دين وحكم وقصص وسياسة واساليب واحتجاجات فوسعت لغة العرب كل ذلك ولم تضق به ذرعا كما قال شاعر النيل حافظ ابراهيم رحمه الله في تمجيدها على لسان حالها :

وسعت كتاب الله لفظا وغاية
وما ضقت عن ءاي به وعظات
فكيف اضيق اليوم عن وصف ءالة
وتنسيق اسماء لمخترعات
انا البحر في احشائه الدر كامن
فهل سالوا الغواص عن صدفاتي

ثم استعملت في اغراض جديدة اقتضاها الانغماس في الترف والامعان في الحضارة كوصف القصور وما بها من الاثاث والرياش والعمران، وكنعت البساتين وما بها من الاشجار والازهار والالوان الى غير ذلك مما يلائم انظمة الملك واساليب الحضارة التي استدعاها التقدم الفكري والاجتماعي ، ثم كانت لغة علم وادب وتاليف وترجمة فلم يضق صدرها ولم يقصر لسانها عما طلب منها في مصطلحات الطب والصيدلة ، والحكمة والفلسفة ، والفلك والهيئة ، والعلوم الطبيعية والرياضية ، واما الثالث وهو مرونة الاسلوب اي قبولها للابتكار والتجديد في صوغ المعاني وتقلبات اوضاعها فلها فيه الحظ الاوفر والمقام الاول اذ كانت اللغة في عهدها الاول عادية وبسيطة كبساطة معانيها لا تكاد تخرج عن الحقيقة فيرسل المتكلم كلامه على حسب مقتضى الحال بدون تكلف ولا تعمل لا في الفاظها ولا في معانيها فاذا هي في صدر الاسلام وما بعده من العصور تتراءى في لباس انيق وفي صور زاهية تترقى في البلاغة وتتنوع في المجاز والتشبيه مما زادها حلاوة في النفس ولذاذة في الطبع – وذلك شيء ظاهر في اساليب الخطباء والشعراء والكتاب الاسلاميين الذين انفسح المجال امامهم ، بما هيأته لغة التنزيل من ءافاق جديدة في اللغة وفي المعرفة – ولا يغيب عن الاذهان ان للقرءان العظيم اثرا قويا وتيارا سريعا في نشر اللغة العربية ورفع مقامها وتوفية كلماتها اذ جاء بما لا عهد للعرب به من كلمات كالساعة والسكينة مثلا فان العرب كانت لا تعرف من الساعة سوى الحصة من الزمان ولا تعرف الساعة بمعنى القيامة كما انها لا تعرف السكينة بمعنى الوقار والطمانينة ، ويقول ابن فارس في فقه اللغة ان العرب « كانت في جاهليتها على ارث من ارث ءابائهم في لغاتهم وءادابهم ونسائكم وقرابينهم فلما جاء الله تعالى بالاسلام حالت احوال ونسخت ديانات ، وابطلت امور ونقلت الفاظ من مواضع الى مواضع اخرى بزيادات زيدت وشرائع شرعت وشرائط شرطت فكان مما جاء في الاسلام ذكر المومن والمسلم والكافر والمنافق ، والعرب انما عرفت المومن من الايمان والايمان هو التصديق ثم زادت الشريعة شرائط واوصافا بهما سمي المومن بالاطلاق مومنا وكذلك الاسلام والمسلم انما عرفت منه اسلام الشيء ثم جاء في الشرع من اوصافه ما جاء وكذلك كانت لا تعرف من الكفر الا الغطاء والستر . فاما المنافق فاسم جاء به الاسلام لقوم ابطنوا خلاف ما اظهروا وكان الاصل من نافقاء اليربوع – ولم يعرفوا في الفسق الا قولهم فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرها وجاء الشرع بان الفسق الافحاش في الخروج عن طاعة الله – وكذلك الصيام اصله عندهم الامساك ثم زادت الشريعة النية وحظرت الاكل والمباشرة وغيرهما من شرائع الصوم وكذلك الحج لم يكن فيه عندهم الا القصد ثم زادت الشريعة ما زادته من شرائط الحج وشعائره وكذلك الحج لم يكن فيه عندهم الا القصد ثم زادت الشريعة ما زادته من شرائط الحج وشعائره وكذلك الزكاة لم تكن العرب تعرفها الا من ناحية النماء وزاد الشرع فيها ما زاده وعلى هذا سائر ابواب الفقه فالوجه في هذا اذا سئل الانسان عنه ان يقول فيه اسمان لغوي وشرعي ويذكر ما كانت العرب تعرفه ثم ما جاء الاسلام به وكذلك سائر العلوم كالنحو